٨ - شيبيون الإفريقي:

لما عاد شيبيون من اسبانيا) ٢٠٦ ( )وهو ب. كورنوليوس شيبيون الذي لقب الإفريقي بعد انتصاره(اقترح مواصلة الحرب في أرض افريقية نفسها. ولم يتحمس الشيوخ لمشروعه، ولكن الشعب قبله. فأعد العدة للهجوم معتمدا على ما أمدته به مقاطعة صقلية من موارد، وعلى الجنود الذين خلبهم بسمعته. وقد كان أجرى محادثات إيجابية مع الإغليد سيفاكس، أمير مازيسولة أو نوميدي الغرب ومع "الإغليد " مسينسا ابن ملك ماسولة أو نوميدي الشرق الذي اضطره سيفاكس إلى أن يكون من الأنصار ومستعدا دائما لقيادة القبائل الثائرة. غير أن سيفاكس تزوج من سوفونيسب الجميلة ابنة عزر بعل جسكون التي كان لها الأثر البالغ عليه فحملته على التحالف مع قرطاج ورد مسينسا إلى أقصى سيرتا الصغرى. فلم يبق لشيبيون بعد هذه الخيبة إلا الاعتماد على قواه الخاصة.

٩ - معركة افريقية:

وما إن حمل ضغط الطبقة الشعبية مجلس الشيوخ على السماح لشيبيون بالتوجه إلى افريقية) ٢٠٤ (حتى نزل على كتيبتين بالقرب من أوتيكة وعسكر قرب المدينة)كستراكورنيليا(وجاب وادي مجردة من دون أن يعترض طريقه شيء. وقد كانت قرطاج المحتمية بأسوارها لا تخشى الهجوم، ولكن لم يكن لها جيش يذكر وكانت تؤمل تدخل أمراء البربر. ولكن مسينسا الذي استمالته قرطاج بوعودها الكثيرة انضم إلى العدو والمعركة على أشدها. واكتفي سيفاكس بمفاوضة الرومان حول مشروع للسلم. واغتنم شيبيون هذه المحادثات ليفاجئ العدو ويضرم النار في معسكر عزر بعل وسيفاكس. وبذلك قضى على جيشين فأهلك ٤٠٠٠٠ جندي وأسر ٥٠٠٠ آخرين)ربيع ٢٠٣ (. فكانت هذه العلة حسب ما روى بوليب أجمل وأعظم ما قام به هذا القائد الشاب من الأعمال الجريئة.

وأخذ عزر بعل وسيفاكس يعدان العدة بمعونة السلتيين والاسبانيين للهجوم على العدو، ولكنهما خابا شر خيبة. وواصل شيبيون تقدمه محاذيا وادي مجردة، وانتصر على

العدو في الدخلة، ثم عسكر بتونس وأخذ يهدد قرطاج)جوان ٢٠٣ (وتعقب مسينسا سيفاكس إلى أن ألقى عليه القبض ودخل سيرته. وهنا نجد أسطورة تعلق هذا البربري بسوفونسبة ابنة عزر بعل وانتحارها. وقد تسلى مسينسا على كل حال بتسلم شعار الملوكية.

رضي شيبيون أن يوقف العمليات الحربية ليمكن قرطاج من التفاوض من أجل الصلح ٢٠٢ (. ولكن مجموعة من المراكب الرومانية - وأيدته في ذلك مجالس الانتخاب)شتاء ٢٠٣ مثقلة بالمؤن ارتطمت بسواحل قرطاج فنهبها القرطاجيون وقد أخذ منهم الجوع مأخذه. ولما قدم السفراء الرومان للاحتجاج كاد الجمهور أن ينال منهم ضربا. فاضطر شيبيون إلى أن يضع حدا لوقف القتال. وكان سكان المدينة يعتمدون على حنبعل الذي طلب منه العودة من ايطاليا فاجتاز "البرقي" البحر من دون أن تعترض طريقه أية عقبة (ونزل بلمطة في صيف ٢٠٣Leptis Minorومنها وصل إلى حضرموت. فماذا فعل طيلة ش. جوليان تاريخ شمال إفريقيا

٨٨ ٨٩

السنة التي سبقت الاصطدام الكبير؟ لاشك أنه جمع حوله قبائل بربرية. وبينما كان في طريقه إلى الجيوش الأهلية التي أتى بها إليه أحد أبناء سيفاكس، "فرمينا" إذا به يلتقي بجيش في جهة الكاف. وتمت بينهما مقابلة لم تأت بنتيجة تذكر إذ رفض القائد الروماني الاقتراحات التي قبلتها قرطاج لإبرام الصلح: وهي التخلص عن اسبانيا والجزر، وتخريب الأسطول البونيقي ما عدا عشرين مركبا، وذلك مقابل الاعتراف لقرطاج (بالسيطرة على افريقية. وحينئذ جرت المعركة الحاسمة بالقرب من جامهZamaولا) يزال مكانها المضبوط محل الأخذ والرد.

لقد أعوزت حنبعل النجدة التي كان يترقبها من "فرمينا"، بينما وصلت جيوش مسينسا لتعزيز صفوف شيبيون في الوقت المناسب. وكان جنود حنبعل تنقصهم الدربة وقد أخذ منهم التعب مأخذا عظيما، فانهزم القائد القرطاجي وفر إلى حضرموت تاركا ٢٠٠٠٠ قتيل في ساحة الوغى بينما وقع في أيدي العدو ٢٠٠٠٠ آخرون. وقد اعترف

شيبيون بأن البرقي بذل في المعركة جامة كل ما كان يمكن أن يبذله بشر للانتصار .))أكتوبر ٢٠٢

١٠ - خضوع قرطاج:

طلب القرطاجيون الصلح فقرر شيبيون أن تحتفظ قرطاج بترابها الإفريقي على شرط ألا تشهر الحرب إلا بإذن من رومة، وأن تتنازل لمسينسا عن مقاليد السيادة على البلاد النوميدية. واضطرت قرطاج كذلك إلى التفريط في فيلتها وأسطولها ما عدا عشر سفن ثلاثية، وإلى العدول عن تجنيد المرتزقة من بلاد غوليا وليغوريا وتسليم كل ما لديها من غنيمة، ودفع غرامة حربية قدرها ١٠٠٠٠ وزنة أوبية منها ١٠٠٠ تدفع في الحال وقبل إيقاف القتال، وأخيرا أجبرت على إرسال الرهائن إلى رومة.

ولم تجد قرطاج بدا من قبول هذه الشروط القاسية التي جعلتها عرضة لمطامح مسينسا) ربيع ٢٠١ (ويقال: إن حنبعل رمى من أعلى المنصة بقرطاجي كان يطالب بمواصلة الحرب إلى النهاية معتقدا أن التشفي لا يجدي، بل من الواجب تحطيم ارستقراطية المال التي تتحمل قسطا وافرا من مسؤولية هذه الكوارث ووجه البرقي ضرباته الأولى ضد مجلس الشيوخ، ثم ظل يسعى إلى تحسين الوضع المالي والفلاحي بقرطاج إلى أن تعاظم حقد أعدائه عليه وازدادت مخاوف رومة منه فتقرر نفيه.

إن قرطاج خرجت منهوكة القوى من هذا الصراع بين البونيقيين والرومان الذي دام أكثر من ستين سنة. وقد أصبح من المألوف أن يرى المؤرخون في الحروب البونيقية مظهرا من الصراع القائم بين الشرق والغرب، وبين مدنيتين ولنقل نحن: بين صورتين للاستعمار. وسوف لا نتعرض للمدينة اللاطينية في هذا الكتاب إلا بالقدر الذي أثرت به على سياسة رومة الإفريقية. أما المدينة البونيقية فهي بالعكس تهم بلاد المغرب مباشرة، لا لأن قرطاج كانت عاصمة فحسب، بل لأنها أثرت كذلك تأثيرا بالغا في بلاد البربر.

IIIالمدينة القرطاجية: -

١ - قرطاج: المدينة والميناء:

إننا لا نعرف عن قرطاج إلا ما كتبه عنها اليونانيون واللاطينيون، وكانوا معنيين أولا

وبالذات بحروبها مع سرقوسة أو رومة. وليست لدينا مؤلفات تاريخية متواصلة الحلقات خطها أبناء قرطاج أنفسهم، وذلك ما يعلل الأسطورة التي ظلت أحقابا كثيرة تقابل بين حسن نية رومة والنفاق البونيقي. أما عن المدينة فإن النصوص لا تكاد تفيدنا شيئا كما لا يفيدنا الأثاث الجنائزي فائدة تذكر.

ولا يعنينا أن نأمل إحياء العاصمة البونيقية)إن لم نقل "المستعمرة القيصرية " التي تمكن ش.سوماني من ضبط موقعها الأصلي(إلا أنه لا يستبعد أن تمدنا الأبحاث المنظمة بصورة أقل وحشة من الصورة التي تسيطر على عقولنا اليوم.

إن مكان القبور والمعبد "ما قبل القرطاجي" الذي حفر عليه "ب.سنتان" في رمال صلامبو يشهدان بأن أقدم جهة لمدينة قرطاج كانت على ساحل البحر في سفح الهضبة المسماة "بيرضة" أو "سان لوي" ثم انتشرت على ضفة البحر والمنحدرات.

ولئن لم يبلغ عدد سكانها ٧٠٠٠٠٠ كما يدعي سترابن فإنها كانت على كل حال مدينة عظيمة بالنسبة لذلك العهد. وقد كشفت حفريات حديثة عن بعض الديار، وربما عن بقايا من سورها في الجهة الشرقية خاصة.

وكانت قرطاج أثناء الحرب البونيقية الثالثة في حصن حصين تحوطها أسوار بلغ طولها ٣٤ كلم وارتفاعها ١٣ مترا وسمكها ٩ أمتار ويوجد عليها برج للدفاع كل ٥٩ (" مترا. وتقع الساحة العمومية أو "الاغورةAgoraبين الموانى وبيرصة، ومنها تتفرع ثلاثة) شوارع صاعدة إلى معبد أشمون ازدحمت على جوانبها بيوت ذات ست طوابق. وتحتل المقابر شمالا هضبة "الاوديون" بالقرب من درمش ودويمس وسانت مونيك)السعيدة(. وبعدها تبدأ ضاحية مغارة محتلة مساحات شاسعة في جهة سيدي أبي سعيد.

ش. جوليان تاريخ شمال إفريقيا

٩٠ ٩١

إن الميناء المزدوج الذي كان القلب النابض للحركة التجارية بقرطاج حير علماء الآثار. وإذا نحن نظرنا شمالا وتأملنا الغديرين المتلالئة مياههما تحت أشعة الشمس بين صلامبو ودرمش تعذر علينا أن نتصور الحوض الكبير المستطيل الخاص بالتجارة الذي

وصفه "آبيان" والمتصل بالبحر، وكذلك الحوض المستدير المحاط بسورين الذي يرسي فيه الأسطول الحربي حول جزيرة القيادة، إلا أن "بيلي" ذهب إلى الاعتقاد رغم ذلك في منتصف القرن الماضي بأن الجزء المهم من رسم الميناءين المحفورين) القطونKothon) يوجد في هذا المكان.

ومن يومئذ، أخذ علماء الآثار يفتشون عن موقعهما في قلب البحر بجون الكرم على سفح هضبة البرج الجديد أو في خليج تونس. وهل أدعى إلى السخرية من أن يرجع "ستفن قزال" من جديد "وهو أحد كبار الباحثين وأعلمهم" إلى الفرضية التي تقدم بها "بوليBeulé وذلك بعد نصف قرن من الحفريات والمناقشات العلمية. "